تحويل مصر الى قاعدة ارتكاز لها في المنطقة، كالمملكة العربية السعودية، وانها، من أجل ذلك، ساهمت في عملية فصل القوات على الجبهة المصرية، خصوصاً انها «تحتاج الى قناة السويس كشريان لتصدير الرساميل الاميركية»(٧٢).

لم يكن هذا التفسير الاقتصادي، بطبيعة الحال، مقنعاً. الّا انه أشار، على الاقل، الى ان الجولات الاربع من المحادثات التي اجراها كيسنجر مع نظيره غروميكو، ومع بريجينيف، لم تكن تبشّر بنجاح مهمته، ولم يستطع، كذلك، اقناعهما بدعم مساعيه الدبلوماسية. وقد عبّر البيان المشترك عن صعوبة مهمّة كيسنجر في موسكو؛ اذ انه لم يتضمّن الّا اشارة مبهمة الى مؤتمر جنيف، حيث ذكر: «ان الجانبين اتفقا، مع أخذهما في الاعتبار دورهما الخاص في مؤتمر جنيف للسلام في الشرق الاوسط، انهما سيبذلان جهوداً لايجاد حل للمسائل الاساسية المتعلّقة بالتسوية في الشرق الاوسط»(٧٣). ولم يكن ذلك يعني، طبعاً، قبول الولايات المتحدة الاميركية بوضع أسلوب «الخطوة خطوة» على الرف.

لقد بدت السياسة السوفياتية أكثر تنوّعاً من السابق؛ وقامت على تدعيم التحالفات القائمة، من جهة، وعلى ضرب المعادلة القائمة التي همّشت الدور السوفياتي، من جهة أخرى. وكانت منظمة التحرير الفلسطينية، مرة أخرى، مفيدة في هذا الاتجاه. وبالفعل، فقد حصلت المنظمة على تأييد قوي باتجاه الاعتراف السوفياتي الرسمي، عندما التقى غروميكو بعرفات، في اثناء زيارة الوزير السوفياتي، في آذار (مارس)، لكلٍ من مصر وسوريا. ومع ان الاتحاد السوفياتي لم يعترف، اعترافاً كاملاً، بالمنظمة، ولم يشر، مباشرة، الى ان منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثّل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني، ولا أصدر بياناً رسمياً مستقلاً مع عرفات، الّا ان غروميكو استقبل عرفات في السفارة السوفياتية في القاهرة بحضور السفير السوفياتي، فلاديمير بولياكوف، لمحادثات رسمية لُخِّصت، فيما بعد، في البيان السوفياتي ـ المصري المشترك(٧٤). أضف الى ذلك، ان غروميكو وجّه أول دعوة رسمية الى عرفات لزيارة الاتحاد السوفياتي، مع ان موسكو، ذاتها، لم توجّه هذه الدعوة بصورة علنية. وممّا لا شك فيه، ان هذه الخطوات السوفياتية المستجدة نحو منظمة التحرير الفلسطينية كانت رمزية أكثر ممّا يجب، وربما اتُّخذت لتأثيرها التكتيكي على الولايات المتحدة الاميركية ومصر، وربما كانت غايتها، أيضاً، تقوية وتمتين مركز عرفات في النقاش الذي كان دائراً، في ذلك الحين، داخل أُطر المنظمة حول اقامة «دولة فلسطينية صغرى»، وحول المشاركة الفلسطينية في مؤتمر جنيف للسلام، الّا انها أشارت، كما عبّرت الاذاعة السوفياتية الموجهة باللغة العربية، الى «ان حركة المقاومة الفلسطينية قد اكتسبت دعماً سياسياً ومعنوياً في هذه الزيارة [زيارة غروميكو الى المنطقة]»(٧٥).

فيما بعد، أكد عرفات، بعد محادثاته مع وزير الخارجية السوفياتية، ان غروميكو منح المنظمة الاعتراف نفسه الذي منحته اياها مؤتمرات الجزائر ولاهور، لكن موسكو كانت راغبة، فقط، بالتصريح بأنها ناقشت الاعتراف الدولي الذي اكتسبته منظمة التحرير الفلسطينية. ومع ان هذا التصريح المقتبس عن لسان عرفات جاء ذكره في الاذاعة السوفياتية الموجّهة باللغة العربية، الّا انه كان يعني، ضمناً، موافقة السوفيات على الاعتراف بالمنظمة. وقد جُسِّد هذا الانطباع بعدد من الاشارات السوفياتية نصف الرسمية الى المكانة الدولية لمنظمة التحرير الفلسطينية، كأن ذكرت، مثلاً، ما قاله عرفات ان ١٠٣ دول قد اعترفت بأن منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني؛ وما نشرته صحيفة «برافدا» عن اعتراف شبيه منحته لجنة التنسيق في دول عدم الانحياز؛ وتقرير صحيفة «ازفستيا» عن مقابلة مع اعضاء فلسطينيين في الجبهة الوطنية